الحنين في شعر الملوك والقادة والوزراء في الأندلس

الدكتور عيسى فارس*
طلال علي ديوب**

ملخّص

الحنين نزعة وجدانيّة إنسانيّة تشمل العصور والأزمنة كلّها، وتعبير عن رغبة ذاتيّة صادقة في رؤية الوطن الأمّ الّذي نشأ الشّاعر فيه، واضطّرته تقلّبات الحياة للابتعاد عنه.

وقد ارتبطت هذه الحالة في شعر الملوك والقادة في الأندلس بجملة من الظّروف السياسيّة، والذّاتيّة، والاجتماعيّة، عمّقت إحساسهم بالأسى والنّدم على فقدانهم العزّ المصحوب بالسّيادة والسّلطة، وفجّرت حنينهم للعودة المرتقبة من جديد، حيث حياة الدّعة، والرّفاهية، والنّعيم.

تتقصّى هذه الدّراسة أشعار الملوك والقادة التي أُنْشِدَت في الحنين، وتدرسها في ضوء الأحوال النّفسيّة، والاجتماعيّة، والذّاتيّة الّتي أثارت هذه الخلجات الوجدانيّة، والأحاسيس المرهفة لدى فئة من هؤلاء الشّعراء الّذين عبّروا من خلال الحنين عن بعدين متناقضين، الماضي المشرق الجميل، والحاضر المؤلم الحزين.

فهم في ظلّ بعض الظّروف القاسية الّتي طرأت على حياتهم، افتقدوا نعيم التّواصل مع أهلهم وذويهم وأماكنهم، وراحت عواطفهم تتدفّق صادقة نابعة من أعماق ذواتهم، فينفثونها زفرات حرّى تحت وطأة الظّروف الصّعبة الّتي يعيشونها.

ارتبطت قصيدة الحنين عند الشّعراء الملوك والقادة بالزّمن الماضي المهيمن على قصائد الحنين الإنسانيّ، بخلاف قصائد الحنين الدينيّ عند الشّاعر الوزير لسان الدّين بن الخطيب، حيث يتمّ الدّمج بين الزّمنين الماضي والمستقبل.

كلمات مفتاحيّة: الحنين، الملوك، القادة، الوزراء، الزّمن، النّعيم، النّدم.

---

* - أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

** - طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١١/١٨هـ.ش= ٢٠١٣/٠٢/٠٦م تاريخ القبول: ١٣٩٢/٠٤/٠١هـ.ش = ٢٠١٣/٠٦/٢٢م

مقدّمة:

تنبثق أهميّة هذه الدّراسة باعتبارها تناقش موضوعاً وجدانيّاً ضارباً بجذوره في الشّعر الأندلسيّ، على مستوى التّجربة العميقة الصّادقة، وعلى مستوى التّعبير المرتبط بوجود الأندلسيّ فوق أرضه ارتباطاً وجوديّاً، عند فئة من الشّعراء الّذين تولّوا سدّة الحكم في الدّولة، وتقلّدوا مناصب قياديّة وإداريّة مهمّة، استطاعوا من خلال معاينتهم لأحوال النّاس والمجتمع، أن يفرزوا تجارب شعريّة عميقة في مختلف الأغراض والمعاني، ومنها غرض الحنين الّذي سندرس فيه نماذج شعريّة عديدة ومتنوّعة تتوافق مع ظروفهم وأحوالهم المختلفة.

وترمي هذه الدّراسة إلى استقراء ظاهرة الحنين في شعر فئة من الملوك والقادة، في ظلّ الظّروف الذّاتيّة والموضوعيّة الّتي فرّقت بين الشّاعر والمكان والأحبّة، فعمّقت إحساسه بالضّياع والنّدم، وضاعفت شعوره بقسوة الزّمان، وغدر الخلاّن، فتستقصي أشعارهم، وتدرس نماذج من حنين بعض الشّعراء إلى أماكنهم وأحبّتهم وأزمانهم الّتي يتمنّون العودة إليها من جديد، حين كانوا يتنعّمون بالعيش الرّغيد، والملك السّعيد، والحبّ الودود، وتتعمّق الدّراسة في قراءة بعض النّصوص الشعريّة، تستكشف فيها المعاني والصّور المختلفة والمتنوّعة في هدي من الحسّ والذّوق، وتستوضح قدرة الشّعراء الملوك والقادة على الإفصاح عن تجاربهم الحنينيّة بصدق وعفويّة.

تنبع أهميّة البحث بوصفه يعرّف بظاهرة وجدانيّة مهمّة عبّر عنها الشّعراء الملوك والقادة في عصر استحضر كلّ معاني الشّوق والنّزوع والحنين على مستوى المكان والأهل والوقائع، فقاموا برحلة عبر الزّمان، وعادوا إلى الوراء لمعايشة الماضي شعراً، وقدّموا نماذج شعريّة مهمّة، صاغوها بأساليب غنيّة ومتنوّعة.

وقد اخترت ــ كما أظنّ ــ الجانب الأكثر أهميّة في أشعارهم، وهو موضوع الحنين، لما لهذا الجانب من علاقة وطيدة بحياتهم كلّها، ونفسيّتهم التي تمزّقت بفعل الظّروف الصّعبة الّتي أحاقت بهم.

أما أهداف البحث: فتتجه إلى استقصاء أشعارهم الحنينيّة، والكشف عن المعاني التي تستحقّ أن تدرس، خصوصاً أنّ لديهم مادة شعريّة غنيّة حافلة بالوقائع والأحداث، ومضامين لا تفارقها الأحزان والآلام.

إنّ المنهجين الوصفيّ والتحليليّ هما الحاضران في هذه الدّراسة، وذلك انطلاقاً من أنّ البحث يقف عند مادّة شعريّة هي أشعار الشّعراء الملوك والقادة في غرض محدّد وهو غرض الحنين، ومن ثمّ تأتي القراءة التحليليّة، لتحاول الغوص في أعماق هذه المادّة ومضامينها.

الدّراسة:

أخذ الشّعراء الملوك والقادة ــ بعد توالي النّكبات والفتن والانقسامات ــ يشكون من غربتهم، ويبكون ضياعهم، وبعدهم عن أوطانهم، ويحنّون في لهفة إلى أزمانهم الماضية في ظلّ الاستقرار والنّعمة، واجتماع شمل الأحبّة، فكوّنوا مادّة غزيرة في تصوير حنينهم إلى معاهدهم الأولى في وطنهم الّذي غدا حلماً عزيز المنال.

يقول حازم القرطاجنّي: "وأحسن الأشياء التي تعرف، ويتأثّر لها إذا عرفت، هي الأشياء التي فطرت النّفوس على استلذاذها، أو التألّم منها، أو ما وجد فيه الحالان من اللّذّة والألم، كالذّكريات للعهود الحميدة المنصرمة الّتي توجد النّفوس، تلتذّ بتخيّلها وذكرها،وتتألّم من تقضّيها وانصرامها...."[١]

فابن شهيد أحبّ قرطبة، وحنّ إلى ماضيها، وتراءى له هذا الماضي بأخيلة العصر الذهبيّ، ومرابع الصّبا، وبقي فيها بعد الفتنة التي حلّت بها، ينظر إلى معاهدها الدارسة في أسى، ويبكي قصورها ومتنزّهاتها، فيقول:" من المتقارب"

عجـــوزٌ لعمـــرُ الصِّـــبا فانيـــهْ لهـــا في الحَشَـــا صـــورةُ الغانيـــهْ
زنـــتْ بالرِّجـــال علـــى ســـنِّها فيـــا حبَّـــذا هـــي مـــن زانيـــهْ
تردّيـــتُ مـــن حُـــزنِ عيشـــي بهـــا غرامـــاً فيـــا طـــولَ أحزانيَـــهْ[٢]

شبّه الشّاعر قرطبة بعجوز هرمة لدنوّها من الفناء والهلاك، ويقسم على ذلك بالتّركيب "لعمر الصّبا"، لعجزه عن مفارقتها وشدّة حبّه لها، وإن كانت فاجرة، زانية بالرّجال، فقد طاب له الموت على هواها، فكم هي ممدوحة على الرّغم من ذلك، مستخدماً أسلوب المدح، فهي المخصوصة بالمدح، هذه هي صورتها من الخارج، أمّا ماضمّته أضلاعه، وحواه فؤاده، فهي صورة الفتاة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الزّينة، وقد عبّر عن ذلك بلفظة "الغانية"، وكم هي أحزانه مؤلمة وقد شارف على الهلاك "ترديت " هياماً بها وعشقاً لها. هذه المأساة التي حلّت بهذه المدينة أثّرت في نفسه، فانطوى حزناً عليها يرثيها بلوعة، وكان آنئذ في إبّان شبابه، فاكتوى بنارها، وعانى من أهوالها.

حنّ إليها، وقد أضحت خرابًا وأطلالاً، فيستجمع خيوط ذكرياته من ماضي مدينته الجميل، حيث روابط الألفة والمحبّة متينة بين أهلها، فيقول: "من الكامل "

عهـــدي بهـــا والشَّـــملُ فيهـــا جـــامعٌ مـــن أهلـــها والعـــيشُ فيهـــا أخضـــرُ

---

١ ــ حازم القرطاجنّي، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٢١-٢٢.

٢ ــ أبو عامر ابن شهيد، **ديوان ابن شهيد**، ص ١٧٧.

وريـــاحُ زهرتِهـــا تلـــوح علـــيهمُ بـــروائح يفتـــرُّ منـــها العنـــبرُ
والـــدّارُ قـــد ضـــرب الكمـــالُ رواقَـــه فيهـــا وبـــاعُ الـــنّقصِ فيهـــا يقصـــرُ
والقـــوم قـــد أمنـــوا تغيُّـــر حســـنِها فتعمّمـــوا بجمالهـــا وتـــأزّروا
يـــا طيـــبَهم بقصـــورِها وخـــدورِها وبُـــدُورُها بقصـــورها تتخـــدّرُ
والقصـــرُ قصـــرُ بـــني أميّـــة وافـــرٌ مـــن كـــلِّ أمـــرٍ والخلافـــةُ أوفـــرُ

يستهلّ الشّاعر أبياته بالتّركيب "عهدي بها " أي ما أعرفه منها، إذ يستعرض مشاهدها ما كان منها قريب العلم أو الحال، معتمداً على الجمل الحاليّة الاسميّة الّتي تبيّن هيئة هذه المدينة في الماضي القريب، حين كان العيش رغداً هانئاً، والأزهار يستنشق منها السكّان "يفترّ " روائح شذيّة يفوح منها الطيب، أمّا هيئة الدّار فأنيقة تامّة الحسن، يأمن فيها أصحابها، وسمة النّقص فيها ضئيلة كما عبّر عن ذلك بقوله " وباع النّقص فيها يقصر "، والقوم قد لبسوا العمامة "و" تغطّوا " و "تأزّروا " بجمال هذه الدار، فاكتسبوا حالة من الأناقة، وهذه الدّار تحتوي على قصور وخدور "كل ما يتوارى به الإنسان"، وقد استترت البدور واختفت يظهورها، إنّه قصر تام سابغ النّعمة كما يخبرنا شاعرنا، غير أن الخلافة "خلافة بني أميّة " أكثر وفرة وأفضل نعمة عبّر عنها باسم التفضيل " أوفر".

وينتقل بعد أبيات عدّة إلى نداء تلك الجنّة "المدينة" الّتي عصفت بها رياح النّوى، وحلّ بها وبأهلها وساكنيها الخراب والدّمار والهجرة، فيتأسّف لذلك، ويتحسّر على ماض مجيد عاشه في ظّلها، فيقول: "من الكامل"

يـــا جنّـــةً عصـــفَتْ بهـــا وبأهلـــها ريـــحُ النّـــوى فتـــدمّرت وتـــدمّروا
آســـى عليـــكِ مـــن الممـــات وحُـــقَّ لي إذ لم نـــزلْ بـــك في حياتـــك نفخـــرُ
يـــا مـــترلاً نزلَـــتْ بـــه وبأهلـــه طـــيرُ النّـــوى، فتغيّـــروا وتنكّـــروا
جـــاد الفـــراتُ بســـاحتيك ودجلـــة والنّيـــلُ جـــادَ بهـــا وجـــادَ الكـــوثرُ[1]

فيقابل بين حالة الخوف والحزن التي اعتصرت فؤاده خشية موتها، وحالة الاعتزاز التي كان يشعر بها الجميع فيما مضى، وقد عبّر عن ذلك بصيغة الجمع "نفخر "، في حين خص نفسه بالحزن " آسى، حق لي "، والمدينة هي مركز الخطاب "عليك، بك، حياتك"، والبيت الثالث تكرار معنوي لما جاء في البيت الأول بألفاظ ومرادفات أخرى تؤدي المعنى ذاته، وفي البيت الأخير يعدد أسماء أنهار تكرمت

١ ــ **المصدر نفسه**، ص٦٥ ــ ٦٦.

بالعطاء في أرجائها، وتدفقت المياه في أنحائها، حتى إنّ الكوثر وهو نهر يقولون إنّه في الجنّة فقد جاد ومنح، للدّلالة على الخير الوفير الّذي كان يعمّ هذه المدينة السّاحرة.

إنّ ماضي قرطبة عند الشّاعر الوزير ابن شهيد هو محور الحنين والمظهر الأساس من مظاهره، وسقوطها يعني انقضاء أجمل أيّام عمره، حياة اللّهو والشّباب واللّذّة.

وتبقى المعاهد دائماً عند ابن زيدون مرتبطة بعهد الفتوّة والشّباب، ويبقى الحنين إلى قرطبة الغنّاء مجمع الأشواق، ومحضر العواطف والأنّات، فيقول:"من الطويل"

معاهـــدُ لـــذّاتٍ، وأوطـــانُ صـــبوةٍ ... أجلْتُ المُعلَّـى في الأمـاني بهـا قِـدْحَا

أَلَـا هـل إلى الزَّهـراء أوبـةُ نـازحٍ ... تقضَّـى تنائيهـا مدامعَـهُ نَزْحَـا

مقاصـيرُ مُلْـكٍ أشـرقَتْ جنباتُهـا ... فَخِلنا العشـاءَ الجَـوْنَ أثناءهـا صُـبحا

محـلٌّ ارتيـاحٍ يُـذكِرُ الخُلـدَ طيبُـهُ ... إذا عزَّ أن يصدى الفـتى فيـه أو يضـحَى

هنـاك الجِمَـامُ الـزُّرقُ تُنـدي حِفافهـا ... ظلالٌ عهدْتُ الدَّهرَ فيهـا فـتىً سَـمْحَا[1]

إنّها أماكن متعة، ومنازل فتوّة، قضى فيها أجمل أيّام الشّباب، وكان صاحب القدح المعلّى في نيل الأماني والحظّ السعيد في ربوعها، وقد عبّر عن ذلك بقوله : "أجلت المعلّى في الأماني بها قدحا "، ويتساءل بحرف الاستفهام "هل" معلّلاً النّفس بعودة مرتقبة بعد معاناة الغربة والرّحيل والدّموع الّتي تكاد تنفد من شدّة اللّوعة وحرقة البعاد، ويعود مرّة أخرى إلى وصف هذه المدينة، فهي "مقاصير ملك" أي ديار واسعة محصّنة تألّقت نواحيها بأنوار المصابيح، فأحالت الظّلام الدّامس صباحاً مشرقاً، إنّها صورة تعتمد على حاسّة البصر بما أفرزته من أماكن وألوان لإبراز المعنى وتوضيح المشهد، ويركّز على سمات واقعيّة في هذا المكان الرّحب، فهو موطن انبساط وارتخاء على الدّوام، يرتوي من مياهه العطشان، ويجد الآوي فيه المأمن والرّاحة، فيه مياه وفيرة، وفيء ظليل، فنجده يمزج بين الذّكريات، ووصف الطّبيعة في تكثيف لسمات محبّبة إلى نفس الشّاعر في وقت مضى، وزمن انقضى.

---

١ ــ أبو الوليد أحمد بن عبد الله ابن زيدون، **الديوان** ، ص ٢٢. الجون: الأسود اليحموميّ، والأنثى جونة، وهوالأسود المشرب حمرة، وقيل هو النّبات الّذي يضرب إلى السّواد من شدّة خضرته، انظر في مادة "جون" في لسان العرب، المجلّد الثّالث عشر، ص ١٠١، يصدى: يعطش، والصّدى: شدّة العطش، انظر مادة صدي، لسان العرب، المجلّد الرّابع عشر، ص ٤٥٣، الجمام: واحدها جمّة: مكان اجتماع الماء، الكثير من كلّ شيء. انظر مادة جمم، لسان العرب،المجلّدالثّاني عشر، ص١٠٥.

وللمعتمد مقطوعة شعريّة يتشوّق فيها إلى ربوع وطنه، ويعزّي نفسه على فراقها، ملتمساً من الله عوضاً وبديلاً عن هذا الفقد العظيم، راجياً أن يطمئّن قلبه، ويشعر بالسّكينة والإيمان والنّسيان، ويتعجّب من نفسه حين تسيل دموعه على خدّيه طوفاناً، كّلما سنحت ذكرى فيطرب لها، ويعزّي نفسه بأنّه ليس أول السلاطين الذين حاقت بهم المصائب والنكبات، فأزاحت عنهم العروش، وفتكت بسلطانهم وعز ملكهم، فيقول: "من البسيط"

اقنـــعْ بحظّـــك في دُنيـــاك مـــا كانـــا وعـــزِّ نفسَـــك إن فارقْـــتَ أوطانَـــا
في الله من كـــلِّ مفقـــودٍ مضـــى عِـــوَضٌ فأشْـــعرِ القلـــبَ سُـــلواناً وإيمانَـــا
أكُلَّمـــا ســـنحَتْ ذكـــرى طربْـــتَ لهـــا مجَّـــتْ دموعَـــك مـــن خـــدّيك طوفانَـــا
أمَـــا سمعْـــتَ بســـلطانٍ شـــبيهك قـــد بزَّتـــه سُـــودُ خطـــوبِ الـــدَّهرِ ســـلطانَا
وطِّنْ على الكُـــره وارقُـــبْ إثـــرَه فرجـــاً واســـتغنمِ اللهَ تغـــنمْ منـــه غفرانَـــا[1]

فالأفعال الطلبيّة المتمثّلة بأفعال الأمر" اقنع" بمعنى " ارض بما تعطى " ، و"عزّ" بمعنى " اصبر على مانابك"، " وأشعر القلب سلوانا " بمعنى " أشعره بما تكشف عن همّه وغمّه "، و"وطّن" بمعنى حمّل نفسه وأعدّها على فعل الأمر "، و" ارقب " بمعنى " راقب وانتظر "، و"استغنم " بمعنى " اغتنم فرصة "، فقد استخدمها بتواتر في أبياته في محاولة منه لتخفيف مصابه، وقساوة معاناته، آملاً في نهاية الأمر بعفو يأمله من الله، ولنلحظ في البيت الّذي يستخدم فيه أسلوب الشرط غير الجازم عبر أداة الشرط "كلّما " الّتي تفيد التّكرار مسبوقة بهمزة الاستفهام، فيتساءل أكلّما راودتني ذكرى موصوفة بالطّرب والسّرور سالت الدّموع مدرارة كالطّوفان، وقد ذكر هذه اللّفظة في مبالغة واضحة لأنّه في المعنى المعجميّ هو ماء أو سيل مغرق، ويعزّي نفسه بأنّه ليس أول السّلاطين الّذين حاقت بهم المصائب والنّكبات، فأزاحت عنهم العروش، وفتكت بسلطانهم وعزّ ملكهم.

وللمعتمد قصيدة أخرى يأسى فيها على قصوره، ويستهلّها بذكر غربته في أغمات بالمغرب، وفيها يبرز نوعاً من التّفكير التّشاؤمي، ورؤية يائسة للزمن المطق، وللزمن الإنساني، وأحلاق النّاس الّتي تلحق الأذى باضّطرابها وتقلّباتها، فيقول: "من الطويل "

غريـــبٌ بـــأرض المغـــربينِ أســـيرُ ســـيبكي عليـــه مِنـــبرٌ وســـريرُ
وتندبُـــهُ البـــيضُ الصَّـــوارمُ والقنَـــا وينـــهلُّ دمـــعٌ بينـــهنَّ غزيـــرُ
ســـيبكيه في زاهيـــه والزَّاهـــر النَّـــدى وطُلاّبـــه، والعـــرفُ ثم نكـــيرُ

١ ــ المعتمد ابن عبّاد، **ديوان المعتمد بن عبّاد**، ص ١١٤ ــ ١١٥.

مضـــى زمـــنٌ والمُلـــكُ مســـتأنسٌ بـــه وأصـــبح عنـــهُ اليـــومَ وهـــو نفـــورُ
بـــرأيٍ مـــن الـــدَّهر المضـــلّل فاســـدٍ مـــتى صـــلحت للصّـــالحين دهـــورُ

إنّ الشّاعر في حالة من الغربة والأسى في أرض بعيدة عن وطنه الأصليّ، وتكرار الأفعال في صيغة المضارع الّتي تغلب على نصّه والدّالّة على معاني البكاء والنّدب هو تكريس لحالته البائسة، وتحريك لانفعالات لا تهدأ، وبالمقابل يبرز الفعلين "مضى" و "أصبح" بصيغة الماضي، ليعلن عن زمن بهيج انقضى، أنس له، واستمتع بلحظاته، ويستخدم في أبياته أدوات تشاركه في حزنه ومصابه " منبر، سيوف صوارم، الرّماح، القصور من الزّاهي والزّاهر، وغيرها "، ويوظّف في نهاية أبياته تجربة عاينها، يسخر فيها من الزّمن الّذي وصفه بالفساد والضّلال عن الحقّ الّذي يصيب الصّالحين أمثاله. إنّ المقارنة بين الزّمنين الماضي "ملك، أنس"، والحاضر " نفور" تسهم في تنمية المفارقة بينهما.

وفي القصيدة ذاتها يحنّ إلى قصوره، ومغاني لهوه وبهجته وسروره، متمنّياً أن تعود له ليلة من لياليه الخوالي، متبعاً التمني بتساؤل، معبراً عن ذلك بقوله " فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة "، فيقول:

فياليـــتَ شِـــعري هـــل أبـــيتنَّ ليلـــةً أمـــامي وخلفـــي روضـــةٌ وغـــديرُ
بمُنبَتَـــةِ الـــزَّيتـــون مـــوروثـــةِ العُـــلا تُغنّـــي قيـــانٌ، أو تَـــرِنُّ طيـــورُ
بزاهـــرها السّامـــي الـــذّرا جاده الحـــيا تشـــير الثّريّـــا نحونـــا ونشـــير
ويلحظنـــا الزّاهـــي وسَـــعْدُ سُـــعودِه غَيُـــورين والصـــبُّ المحـــبُّ غيـــورُ
تـــراهُ عســـيراً أم يســـيراً منالُـــه ألا كـــلُّ مـــا شـــاءَ الإلـــهُ يســـيرُ
قضـــى الله في حمـــصَ الحِمَـــامَ وبُعْثِـــرَت هنالـــك منَّـــا للنّشـــور قُبـــورُ[١]

وبعد استعادة مشهد بهيج يتضمّن المكان " روضة، غدير، منبتة الزّيتون، الزاهي "، والزمان " ليلة متمنياً عودتها"، يتّسم بالحركة والحيويّة حيث الغناء والرّنين، فيأتي البيت الأخير ليعلن حالة الموت الّتي قدّر الله فيها وقضى أن تبعثر صفائح القبور في إشبيليّة حيث الاندثار والفناء، وقد حقّقت الأساليب الإنشائيّة المتنوّعة الّتي وظّفها في أبياته من استفهام ونداء وتمنّ الغاية الجماليّة والدلاليّة المرجوّة، فجاءت لإظهار تفجّعه ولهفته وحنينه العارم، مما منح تجربته الشعريّة صدقاً وحيويّة، وأكسبها بعداً عميقاً، وإبداعاً مؤثّراً، فاندفعت أبياته بتلقائيّة، وقد وفّر لها ذلك الصّدق النّفسي، وولّد الدّهشة والانفعال لدى المتلقّي.

١ ــ **المصدر نفسه**، ص ٩٨ ــ ٩٩.

وحنّ الملك الشّاعر يوسف الثّالث إلى مدينته غرناطة، فذكر الزّوراء، وهي كما نعلم اسم من أسماء بغداد، ويراد بها غرناطة في أبيات من قصيدة قدّم لها بقوله:" إنّنا تذكّرنا أيّام المقام في ظاهر جبل الفتح إلى أحبّائنا والحالّين بأعزّ مكان من خلدنا، فساعدت الإجابة في نظمنا هذا " :" من الطويل"

فيا ساكنَ الزّوراءِ هل من تحيَّةٍ ولو مثلَ ما يُهدَى الصَّديقَ صديقُ
بعيشك حمِّلْها الرّياحَ لعلّها تهبُّ، ففي طيِّ الضُّلوعِ حريقُ
لقد طالَ ترديدي، وشوقي غالبٌ دمي أم دموعي ما عليك أريقُ
أنا ذلك المُضنى بحبّك كلَّما تُذوكِرَ إلفٌ بالوداد خليقُ[1]

يوجّه الشّاعر نداءه إلى ساكن غرناطة باستخدام أداة النداء "يا"، المتبوعة بالمنادى المضاف، يليها أسلوب إنشائيّ آخر متمثّل بحرف الاستفهام "هل " لطلب التّصديق، مقرون بشبه الجملة " من تحية " يرجو أن يحمّلها مهداة على جناح الشّوق "لعلّها " تهبّ فتردّ التّحيّة مع الرّياح، وتبعث السّلام إلى محبّ اضطرم في قلبه الشّوق وثار، وباللام الموطئة للقسم المقرونة "بقد " التّحقيق، يقسم ويؤكّد أنّ ترديده طال، وشوقه ازداد ولوعاً وهيجاناً، متسائلاً لتعيين أحد الشّيئين الدّم أم الدّموع هي التي انصبّت وسالت، وكلاهما سيّان لديه، وبتوظيف أسلوب الشّرط غير الجازم المكوّن من أداته " كلّما " الّتي تفيد التّكرار، يوضّح حالته المؤسّسة على الألفة والمحبّة الخالصة المعرّفة بالمعذّب بحبّ هذه المدينة. إنّها موئل المحبّة الّتي تشتّتت، وموطن الألفة الّتي تبدّدت،وفي هذا يقول الدّكتور ابن شريفة في مقدّمة ديوان ابن فركون: "إنّ في ديوان يوسف الثّالث قصائد متعدّدة قالها في السّجن أو" أيّام الوحشة " كما يسمّيها، منها ما هو في رثاء والده، أو في عتاب أخيه، وبعضها الآخر في الحنين إلى غرناطة ومعالمها كنجد والسّبيكة والمصلّى وغيرها[2].

إنّها غرناطة مستقرّ أهله، ومقرّ ملكه الّذي أبعد عنه قسراً، فشكا هذا الهجران القاسي، والحرمان المضني في قصائد كثيرة، ولاسيّما بعد أن أدّى اليمين جهاراً بالوفاء، فيقول: " من الخفيف "

أبعدونا تغالباً أبعدونا طردونا من ملكهم طردونا
سلبونا بعض الّذي قد منحنا من عطايا جزيلةٍ سلبونا
خلّفونا بعد اليمين جهاراً ويحَهم ما لهم لِمَا خلفونا

١ ــ يوسف الثالث، **ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث**، ص ١٨٥.

٢ ــ ابن فركون، **ديوان ابن فركون**، ص ٢١.

حيـــث عُـــدْنا والعـــودُ أحمـــدُ لكـــن إنْ أســـــاؤوا فإنّنـــــا محســـــنونا[١]

والملاحظ على هذا النّص سمة التّكرار لأفعال تبرز طبيعة الأهل القائمة على الغدر والخيانة والّتي مثّلها بقوله:"أبعدونا، طردونا، سلبونا، خلّفونا"، بما تشي به من قهر واستيلاء وغصب وترك، ولتكون أفعاله وصفاته مناقضة لما سبق من أعمالهم، وإيجابيّة تعبّر عن طباعه، فقد منحها صفة الجماعة " منحنا، عدنا، محسنونا "، لتعلن تفوّقه عليهم قولاً وفعلاً، وبقاءه على مايتّسم به من أمانة ورعي عهود ومواثيق.

ويحنّ إلى أهل مدينته غرناطة الّذين عاهدهم على دوام حبّهم في قلبه مهما طال البعد، فهم أحسن منظر ألفه، يقول:" من الطويل"

أأحبابَنـــا والـــودُّ بـــاقٍ كعهـــدكم جديـــد وحـــالي بعـــدكم لا يُغيَّـــرُ
ووالله مـــا حالـــت بي الحـــالُ بعـــدَكم ولا راقـــتني مـــن ســـائر النَّـــاس منظـــرُ[٢]

يناديهم بالأحباب ويقرنها ب"نا" الدّالة على الجماعة ليوثّق الصّلة القائمة بينهما على المودّة والحبّ، ويخبرنا عن الود بأنّه باق، وعن حاله بأنّه ثابت لايتغيّر، ويقسم على دوام حبّه لهم، ومنزلتهم العزيزة على قلبه.

والحنين إلى الشّباب هو حنين إلى ملذّات الحياة ومتعها، وكلّ ما يصبو إليه الإنسان في هذه المرحلة من لهو ومغامرة وغزل وخمر ولذّات، فإذا رحل الشّباب، رحل كلّ شيء، وكيف للحبّ يطرق باب شاعرنا لسان الدين وقد علا الشّيب رأسه، وقام فوق منبر رأسه خطيباً، منذراً، متوعّداً بالقدر المحتوم، كما في قوله: " من الكامل "

رحـــل الصِّـــبا فطرحـــتُ في أعقابـــه مـــا كـــان مـــن غـــزلٍ ومـــن تشـــبيبِ
أنّـــى لمثلـــيَ بـــالهوى مـــن بعـــدِما للـــوَخْطِ في الفـــودَين أيُّ دبيـــبِ
لـــبس البيـــاضَ وحـــلّ ذروةَ مِنـــبرٍ منّـــي ووالى الـــوعظَ فعـــلَ خطيـــبِ[٣]

توالى الفعلان " رحل، طرحت " بترتيب زمنيّ وتعقيب، بمعونة حرف العطف الفاء، رحل زمن الشّباب وفترة الشّوق فتمّ على إثرهما ترك ذكر أيّام الشّباب واللّهو والغزل، ويعود السّبب في ذلك إلى أن الشّيب علا الرأس، وقد ارتدى البياض، وقام فوق منبر رأسه خطيباً، منذراً متوعّداً بالقدر المحتوم،

١ ــ يوسف الثالث، **ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث**، ص ١٦٠.
٢ ــ **المصدر نفسه**، ص ٢٣٠.
٣ ــ ابن الخطيب. **الديوان**، ص ١٢٨.

فالشّيب قام بأفعال الخطيب ذاتها من ارتداء البياض أوّلاً، واعتلاء المنبر ثانياً، وتلاوة المواعظ والحكم على مسامع النّاس ثالثاً.وله قصيدة حنينيّة يتذكّر فيها عهد الشّباب، ويدعو لأيامه بالسّقيا بدموع غزيرة، إن بخل عليها المطر، ويحنُّ إلى عهد أنس قضاه بالسّرور والنّشوة، فيقول: " من البسيط "

عهـــدَ الشّـــبابِ ســـقى أيّامَـــك الأُولا سَحٌّ من الـــدَّمع إنْ شـــحَّ الحَيَـــا هطـــلا
من عهد أُنـــسٍ تفيَّـــأْتُ السُّـــرورَ لـــدى روضـــاتِه، وجنيـــتُ اللّهـــو والغـــزلا
ومـــن شمـــوسٍ وأقمـــارٍ إذا طلعـــتْ كانـــت مشـــارقُها الأســـتارَ والكِلـــلا
فـــاليومَ لا وصـــلَ إلّـــا أن تـــرى لهـــمُ نُهـــدي تحيّتنـــا الأســـحار والأُصُـــلا[1]

إنّها أيّام يدعو لها بالسّقيا بدمع غزير متتابع "سحّ " إن بخل المطر بالعطاء يجود عليها، فيجانس بين "سحّ" و"شحّ "، لإيضاح المعنى وإبراز المقدرة اللغويّة، يستعيد في هذه الأيّام أيّام النّضارة والقوّة والنّشاط ومضات السّعادة الّتي يحاول استعادة وهجها وألقها بمفردات توالت كثيراً عبر الأبيات " أنس، تفيأت، السّرور، روضات، جنيت، اللّهو، الغزل، شموس، أقمار، مشارقها، الكلل بمعنى الأستار الرقيقة"، حيث يحلو الوصل، أما اليوم فلم يبق من الوصل مايبتغيه، إنّما إهداء التّحية، وإزجاء السّلام في تعبير عن الحسرة والنّدم.

واعتقاده بعبثيّة الحياة يرجع إلى ما أوحت إليه تجاربه من أنّ الإنسان إلى موت وفناء، فما بعد الشّباب " زمن النّضارة والنّشاط " إلّا كبرة وهرم وحمام: " من الكامل "

العمـــرُ نـــومٌ والمـــنى أحـــلامُ مـــاذا عســـى أن يســـتمرَّ مقـــامُ
بعـــد الشّـــبيبة كـــبرةٌ، ووراءهـــا هـــرمٌ ومـــن بعـــد الحيـــاة حِمـــامُ[2]

إنّ الرّسول يكون قادراً على حمل رسائل إلى ولّادة كالبرق ونسيم الصّبا، هو وسيط بين حكاية الأشواق ولهيب اللواعج، وبين استحضار الماضي، فيقول: " من البسيط "

يا ساريَ البرق غادِ القصـرَ واسـقِ بـه من كان صِرفَ الهـوى والـودّ يسـقينا
ويـــا نســـيم الصَّـــبا بلِّـــغْ تحيّتنـــا من لو علـــى البعـــد حيّـــاً كـــان يحيينـــا

لكل منهما وظيفة يؤديها ليكون عاملاً مساعداً ووسيطاً فاعلاً ومؤثراً بين الطرفين، فالبرق يتصف بالسرعة والعطاء، لذلك كان الطلب منه عبر الفعلين " غاد، اسق "، أما النسيم فيتصف بالرقة واللين، فالمطلوب منه أن يقوم برسالة التبليغ.

---

١ ــ **ديوان ابن الخطيب** ، المجلّد الثّاني ، ص ٧٦٣.

٢ ــ **المصدر نفسه** ، المجلد الثاني ،ص ٥٥٦.

ويحن ابن زيدون إلى الجمال " جمال محبوبته"، فيسهب في وصف جمالها وذكر محاسنها، فيقول:

ربيـــب مُلـــكٍ، كـــأنَّ الله أنشـــأه مســـكاً، وقـــدّر إنشـــاء الـــورى طينـــا
أو صـــاغه وَرِقـــاً محضـــاً، وتوَّجَـــهُ مـــن ناصـــع التّـــبر إبـــداعاً وتحســـينا
إذا تـــــأوّد آدتْـــــه، رفاهيـــــةً تُـــومُ العقـــودِ، وأدمَتْـــهُ البُـــرَى لِينـــا
يـــا روضـــةً طالمـــا أجنَـــتْ لواحظَنـــا ورداً، جـــلاهُ الصِّـــبا غضّـــاً، ونســـرينا[1]

فالمحبوبة فريدة في محاسنها، مخلوقة من مسك، وغيرها مخلوق من طين، وبشرتها كأنّها من الفضّة الخالصة لبياضها، والشّعر كأنّه الذّهب لشقرته، وجسمها ناعم جداً لدرجة أنّ العقود المزدوجة الّتي تلبسها تميلها ذات اليمين وذات الشمال، والخلاخيل تدميها لنعومتها، وهي روضة وكوثر لا مثيل لها في صفاتها.إنّه يبدع في خلق الصّور الّتي تجعل محبوبته في أبهى حلّة، وأزهى هيئة، وأرقّ خلقة، فيعتمد المشاهد الوصفيّة التفصيليّة، ليتوّج ذلك بتشبيهها بروضة غنّاء اعتدنا أن تدرك عيوننا جناها ورداً ناعماً، أبيض، عطريّ الرائحة.

يحنّ إلى أصدقائه، حيث يتردّد معنى الحنين إلى الصداقة المتينة عند شاعرنا ابن زيدون، إنّه في رؤيته زمن العيش الهانئ، وزمان الطّبيعة البهيجة، وصحبة قوم في مجلس خمر وغناء، كان يرى فيهما سبيلاً إلى ذهاب الحزن والأسى، أمّا الآن فهما مصدر لإثارة الأحزان والمآسي:

نأســـى عليـــكِ إذ حُثَّـــت مُشعشـــعةً فينـــا الشَّـــمول، وغنّانـــا مُغنّينـــا
لا أكـــؤسُ الـــرّاح تُبـــدي مـــن شمائلنـــا ســـيما ارتيـــاحٍ، ولا الأوتـــارُ تلـــهينا[2]

ويقدّم لنا ابن زيدون صورة الماضي الجميل، فما أن ابتعد هذا المشهد بالمكان والزمان حتّى اضطرمت المشاعر، وثارت لواعج الشّوق والحنين، وعادت خيوط الذّاكرة تحاك من جديد، وانهملت الدّموع على زمن مضى وانقضى، فيقول: " من الطويل "

معاهـــدُ لهـــوٍ لم تـــزلْ في ظلالهـــا تُـــدار علينـــا للمُجـــون مُـــدامُ

---

١ ــ ابن زيدون، الديوان، ص ١١ ــ ١٢. الورق: الفضة، الدّراهم المضروبة، انظر مادة " ورق" في لسان العرب، المجلد العاشر، ص٣٧٥. تأود: تثنى، وأدت العود وغيره أوداً أي عطفته، مادة أود، المجلد الثالث، ص ٧٤. التوم: حبوب من فضة تشبه الدرر، واحدها تومة، اللؤلؤة،أو القرط فيه حبة، انظر مادة" توم "، المجلد الثّاني عشر، البرى: الخلاخيل، انظر مادة "بري "، المجلد الرابع عشر،ص ٧١. النسرين: الورد الأبيض، المجلد العاسر، ص ٥٢.

٢ ــ **ديوان ابن زيدون** ، ص ١١.

زمانَ ريـــاض العـــيش، خضـــرٌ نواضـــرٌ تـــــرفّ وأمـــــواهِ السّـــــرور جِمـــــامُ
فـــإن بـــان منّـــي عهـــدُها، فَبِلَوعـــةٍ يشـــبّ لهـــا بـــين الضّـــلوع ضِـــرامُ
تـــذكّرت أيـــامي بهـــا، فتبـــادرتْ دمـــوعٌ، كمـــا خـــانَ الفريـــد نظـــامُ[1]

فالمفردات والتّراكيب حاضرة في المشهد الّذي يرسم لوحة الماضي بالمنحيين الزّمانيّ والمكانيّ، والّتي تتلوّن بألوان السّعادة والبهجة ومجالس الأنس، فتتمثّل عبر " معاهد لهو، ظلالها، المجون، مدام، رياض، خضر، نواضر أي حسان نواعم، أمواه، جمام "، وهذا واضح في البيتين الأوّلين، في حين أنّ التّراكيب المؤلّفة لمفردات المشهد الحاضر فتعجّ بمعجم الحزن والأسى من مثل " بان، لوعة، يشبّ، ضرام، دموع، خان ... ".ويذكر ابن شهيد أصدقاءه الّذين سيذكرونه بعد موته، فقد كان يرتاح للذّكر بعد الموت، ثم يصف سطوة الموت نفسه، وفي كلّ أشعاره تلمح هذا الأسى على فراق أصدقائه، وموقفه منهم موقف المودّع الّذي يعرف أنّ نهايته قد اقتربت، على أنّه لا يشير في الظّاهر إلى خوفه من الموت، ولكنّه يتجلّد في الغالب، وآخر ما قاله مودّعاً أصدقاءه: " من البسيط "

أســـتودع اللهَ إخـــواني وعشـــرتَهم وكـــلَّ خِـــرْقٍ إلى العليـــاء ســـبَّاقِ
وفتيـــةً كنجـــوم القـــذفِ نيِّـــرُهُم يهـــدي، وصـــائبُهم يُـــودي بـــإحراقِ[2]

فقد استهلّ بيتيه بالفعل المضارع "أستودع" بمعنى "أترك إخواني وعشرتهم وديعة عندالله"، وكلّ كريم سخيّ سبّاق إلى العلياء، وهو ينظم هذه الكلمات بدافع من الخوف خشية الموت، وقد طال مشهد الوداع أيضاً فتية هم أشبه بنجوم القذف،نيّرهم يهدي ويرشد،وصائبهم يسدّد ويصيب ويحرق.

ولنتأمّل في أبياته الّتي يبثّها من داخل جدران سجنه، فيبعث نفحات حرّى، وكلمات صادقة، يعبّر فيها عن لهفته إلى أيّام مضت مع أصدقائه، والحالة الّتي صار عليها في غياهب السّجن، فيقول: "من الطويل"

فـــراقٌ وشـــجوٌ واشـــتياقٌ وذلّـــةٌ وجبَّـــارُ حفَّـــاظٍ علـــيَّ عتيـــدُ
فمَـــنْ مُبلـــغُ الفتيـــانِ أنّـــيَ بعـــدَهم مقـــيمٌ بـــدار الظّـــالمين وحيـــدُ[3]

---

١ ــ **المصدر نفسه**، ص٧١، الجمام: واحدها جم: من الماء معظمه، وهوالكثير من كل شيء، انظر مادة " جمم " المجلد الثاني عشر، ص ١٠٥، الفريد: اللؤلؤ، الدّرّ إذا نظم وفصل بغيره، وفرائد الدر كبارها، مادة ط فرد "، المجلد الثالث، ص ٣٣٢.

٢ ــ **ديوان ابن شهيد**، ص ١١٥.

٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٤٢.

كلّها مفردات توحي بالألم والغصّة في سجن يعاني فيه النّازل من فراق وشجو واشتياق وذلّة، كما أعلن عنها في بيته الأوّل، ومقيم بدار الظّالمين وحيد في بيته الثاني، وقد نال سجّانه نصيباً من الوصف فهو جبّار حفّاظ على سجينه،عتيد.

وللحنين إلى الأطلال حضوره في أشعار الملوك والقادة، ففي هذه الموشّحة يدعو ابن زيدون بالسّقيا لأطلال الأحبّة، فيقول:

سقى الغيــثُ أطــلال الأحبّــة بــالحِمى
وحــاك عليهــا ثــوبَ وشــي مُنمنمَــا
وأطلــعَ فيهــا للأزاهــير أنجمــا
فكــم رفلــتْ فيهــا الخرائــدُ كالــدّمى
إذا العــيش غــضٌّ، والزَّمــان غــلامُ[1]

إذ يصوّر مشهد أطلال الأحبّة وهو مشهد متحرّك يعلن فيه تأثير الغيث في الأطلال عبر الأفعال الدّالة على الحياة والحيويّة " سقى، حاك، أطلع، رفلت بمعنى تبخترت في مشيها "، فيؤلّف لوحة طبيعيّة موشّاة مزيّنة، برزت فيها الأزهار مشرقة وضّاءة كنجوم السّماء متناثرة، حيث يبدو العيش ناعماً، والصّورة زاخرة متوهّجة بالألوان، فهو دائماً يمزج حنينه إلى لذّاته ولهوه وسط الطّبيعة بوصفه بهجتها، ثمّ بمضي معدّداً الأيّام والأماكن الّتي قضى فيها أجمل أيّام شبابه.

ومن خلال الأطلال الدّارسة، والدّيار الّتي امّحت معالمها، يعرض الشّاعر لسان الدّين تسلّط الزّمن على الإنسان، وعبثه بالأقدار، وتحكّمه بمظاهر الوجود. إنّها رؤية تشاؤميّة، ففي أشعاره ميدان واسع لآثار الغربة، أمّا وقد وقفنا الآن نشكو إلى الأطلال، فالأمر قد تغيّر وتبدّل، فيقول: " من الطويل"

سقى دارَهم هامٍ مــن السُّــحب هــامعُ ... ولا أجــدبت تلــك الرُّبــا والأجــارعُ
ينــوب عــن الأجفــان في عَرَصــاتها ... إذا كَــلَّ منــها عــارضٌ مُتتــابعُ
وحــيَّ بهــا عهــدي إذِ العــيش نــاعمٌ ... نضــيرٌ، وإذ روض الشّــبيبة يــانعُ
وقفنــا عليهــا الرّكــبَ يومــاً وبعــدَه ... وثالــث يــومٍ، واقتضــى السّــير رابــعُ

---

١ ــ **ديوان ابن زيدون**، ص ٢٩، المنمنم: المرقوم، الموشى، انظر مادة "نمم "، المجلد الثاني عشر، ص ٥٩٣، رفلت: جرت ذيولها تتبختر، انظر مادة " رفل " المجلد الحادي عشر، ص ٢٩١، الدمى واحدتها دمية: الصورة المزينة فيها حمرة كالدم، وقد تكون من الرخام أو العاج، مادة" دمي "، المجلد الرابع عشر،ص ٢٧١، الغض: الناعم، ماد " غضض، ص ١٩٦، المجلد السابع.

نعفّـــر في الآثـــار حُـــرّ خـــدودِنا ونشكو إلى الأطـــلال مـــا الـــبينُ صـــانعُ
معاهدَنا الّـــلاتي محـــت حســـنَكِ النّـــوى تُرى هل ليالي الأنـــس منـــك تُراجِـــعُ؟[1]

إنّ الدّعاء بالسّقيا للطلل عادة شعريّة تقليديّة، انتهجها شاعرنا في مستهلّ أبياته، سقيا بسحاب ماطر متتابع لإبعاد حالة الجدب والقحط واليباس عن الدّيار بما فيها من مرتفعات ومنخفضات " الرّبا، الأجارع " الّتي عبّر عنها بأسلوب النّفي " لاأجدبت تلك الرّبا والأجارع "، ثم يلحق الدّعاء بتحيّة إلى عهد الشّباب الّذي مضى في تلك الّديار، حين كانت صورة العيش مكتملة فيها النّعومة والنّضارة والنّضوج، ويعلن عن مشهد الوقوف على الأطلال " وقفنا عليها الركب "، ويحّدد الزّمان " يوماً وبعده وثالث يوم، واقتضى السّير رابع"، أمّا الأفعال النّاتجة عن هذا الوقوف فتضمّنت تمريغ ما بدا من الوجنة في تراب آثارها، والشّكوى إلى الأطلال، والسّؤال عمّا حلّ بهذه المعاهد من اندثار، وامّحاء حسن نتيجة للبعاد، وهل هناك من عودة مرتقبة لتلك الليالي. إنّ الشّكوى إلى الأطلال غير مجدية، فشاعرنا يشكّك في جدوى خطاب الرّسوم، ويعدّه نوعاً من إضاعة الوقت بعد أن فقدت الحياة والأحبّة، فيقول: " من الطويل "

أمَـــا لـــو علمنـــا أنّـــه ينطـــق الرَّســـم ولم يبقَ يومـــاً مـــن مســـمّاه إلّـــا اســـمُ
وأنَّ ســـــؤال الرّبـــــع ينقـــــع غُلّـــــةً فيحصل مـــن أنبـــاء مَـــنْ ظعـــنَ العلـــمُ
لطـــال وقـــوفٌ واســـتهلّت مـــدامعٌ وبُـــثَّ غـــرام طالمـــا صـــانه كـــتْمُ[2]

إنّه يكثر من الوقوف على أطلال الأحبّة ــ يستوقف الرّفيقين ــ ويسائلها عن فعل الزّمن بها وبأهلها وبعهدها، ويتجلّى ذلك في أكثر من موضع في أشعاره. ويتمثّل هذا المشهد بأسلوب الشّرط غير الجازم عبر الأداة "لو" والفعل "علمنا " والجواب "لطال "، فيمتنع الوقوف على الأطلال وسيلان الدّمع وكشف الهوى بعد كتمه بامتناع العلم بنطق الأثر أوالرّسم، فلا بقاء إلّا للاسم، ولا سؤال للدّار يسكّن حرارة الشّوق، ويخبر بأنباء الأحبّة.

وممّا قاله الشّاعر الملك يوسف الثّالث في الحنين إلى الطّلل الدّائم " نجد " الّذي لم يغب ذكره في قصائده الحنينيّة، فنراه يساجله بدموع وابلة، وأكباد حرّى، حتّى يصل إلى غرناطة، فيودعها أشواقه، ويشكو لها اغترابه: " من البحر البسيط "

---

١ ــ **ديوان لسان الدين بن الخطيب** ، المجلد الثاني ، ص ٦٤٧، الأجرع: أجارع: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، وقيل هي الرملة المستوية، مادة " جرع "، المجلد الثامن، ص ٤٦.

٢ ــ **المصدر نفسه** ، المجلد الثاني ــ،ص ٥٤٢.

مـــرّت بنجـــدٍ ومـــا نجـــدٌ بمرتَبَـــع لـــولا المُلِـــثُّ الّـــذي لم يبـــقَ تصـــويحا
ســـاجلْتها بـــدموعٍ طـــلٌّ وابلِهـــا زان الحـــدائقَ تقليـــداً وتوشـــيحا
سُـــقياً لغرناطـــةَ واللهِ مابرحـــت تلقـــي مـــن البعـــد في قلـــبي التباريحـــا

إنّه موضع لا يقام فيه فصل الرّبيع " وما نجد بمرتبع "، فكانت المفاخرة بتلك الدّموع الّتي انهمرت بغزارة، فازّينت الحدائق، واكتست حياة وحركة، ويدعو بالسّقيا لهذه المدينة الغالية على قلبه الّتي ما فتئت تشعل لهيب الحبّ في قلبه نتيجة البعد والفراق،إلى أن يقول:

طال اغترابي عن أهـــلٍ وعـــن وطـــنٍ وســـامني زمـــني وجـــداً وتبريحـــا[١]

ولكلٍّ تجربته الشعريّة الخاصّة به، وسماته الّتي تميّزه عن غيره في القصيدة الحنينيّة، فابن شهيد مثلاً يحنّ إلى الحياة الدّنيا من خلال رثائه لنفسه، وفي ذلك يقول: " من الطويل "

أنـــوحُ علـــى نفســـي وأنـــدب نُبْلَهـــا إذا أنـــا في الضـــرّاء أزمعْـــتُ قتلَهـــا
رضـــيتُ قضـــاء اللهِ في كـــلِّ حالـــةٍ علـــيَّ وأحكامـــاً تيقَّنـــت عـــدلَها[٢]

نوح وندب على النّفس، ورضاء بقضاء الله وقدره في كلّ أمر، وبحكمه العادل، وهو عازم وماض في قتلها، وحالة من الشدّة والعسر تصيبه.

ومن مظاهر الحنين المميّزة في شعره حنينه إلى اللّذة الصّاخبة والشّهوة العارمة، وممّا يعكس هذا المظهر تلك المقدّمة الّتي مهّد بها لمدح عبد العزيز المؤتمن، حين يستعرض تلك اللّذة الحسّية الشّاذّة مع غلام بربريّ ساذج، ثم يتلهّف في حنين عارم إلى ذلك الماضي، وذلك الزّمن الحالم الّذي مات، يقول في مطلع هذا النّص: " من الكامل "

سُـــقياً لطيـــب زماننـــا وســـروره وعزيـــز عـــيشٍ مُســـعفٍ بغريـــرهِ
وتكفُّـــري بـــرداء وصـــلٍ مقرطَـــقٍ كتبـــوا بـــنقسِ المســـك في كـــافورهِ
متلفِّـــعٌ بحريـــره متضـــمِّخٌ بعـــبيره، متـــرنِّحٌ بقتـــورهِ

ففي البيت الأوّل لم يستنكف من أن يشكو إلى ممدوحه حاجته أحياناً، وضيق ذات يده، وربّما كان يشير إلى أيّامهما معاً، ويدعو بالسّقيا لزمن مضى وانقضى يتّصف بلوحة من العيش البهيج العزيز الطّيب، ولنلحظ التّقسيم الإيقاعيّ المتوازن بين العبارات، كلّ عبارة تبدأ باسم الفاعل الّذي يقوم بفعل التستر أو التغطّي " متلفّع "، والتلطّخ، فهو متلطّخ بالطيب، متمايل بسطوع رائحة العطر أو البخور،

١ ـــ **ديوان ملك غرناطة** " يوسف الثالث "، ص٢٩.

٢ ـــ **ديوان ابن شهيد**، ص١٢٦.

إلى أن يبلغ الفحش منه مبلغاً، والإقبال على اللذّة الحسّية مأخذاً، فيقول في وصف فاضح لا يقيّده فيه قيد، ولا يردعه رادع:

وملكتُــــه بـــــالكفِّ ملكـــــةَ قـــــادرٍ فانصـــــاع مـــــؤتمِراً لحكـــــم أمـــــيرهِ
فقضـــيتُ مـــا لم أقـــضِ فيـــه بريبـــةٍ يـــأبى العفـــافُ وعصـــمتي بحضـــورهِ
زمـــنٌ قضـــى ثم انقضـــى فكأنّـــه حُلُـــمٌ قـــرأت المـــوت في تفســـيرهِ[1]

إنّها أفعال وأسماء تدلّ على تأثيره وتحكّمه بهذا الغلام "ملكته "، "قضيت "، "ملكة "، "قادر"، "حكم "، " أمير "، بينما هو في حالة تأثّر " انصاع " بمعنى انفتل راجعاً مسرعاً مؤتمراً، قام بما تمليه عليه غريزته دون اضطراب نفس أو قلق، ويؤكّد على مضي هذا الزّمان بتكراره للفعلين " قضى، انقضى"، وتشبيهه بالحلم، حلم من أوصافه أنّ الموت مقروء في تفسيره وتعليله.

أمّا الحنين عند الشّاعر الملك المعتمد بن عبّاد فاتّسم بعنصر المقابلة بين زمنين، زمن العزّ والسّيادة، وزمن القهر والذّلّ والمهانة، شطرهما الدّهر شطرين، نظم في الأوّل منهما موضوعات الشّعر المختلفة، وفي الثّاني برز شعر يفيض باللّوعة والحسرة والانكسار في أغمات، وهو يئنّ في قيود السّجن الحديديّة، فيقول: " من البسيط "

بكـــى المبـــاركُ في إثـــر ابـــن عبَّـــاد بكـــى علـــى إثـــر غـــزلانٍ وآســـادِ
بكـــت ثريّـــاه لا غُمّـــت كواكبُهـــا بمثـــل نَـــوْءِ الثُّريّـــا الـــرّائحِ الغـــادي
بكـــى الوحيـــد، بكـــى الزّاهـــي وقبّتـــه والنّهـــرُ، والتّـــاج، كـــلٌّ ذلّـــه بـــادي
مـــاء السّـــماء علـــى أبنائـــه درٌّ يالُجّـــة البحـــر دومـــي ذات إزبـــادِ[2]

يحنّ ابن عباد إلى قصوره في الأندلس الّتي عاش فيها سيّداً حرّاً، وأضحى الآن مأموراً، فنراه يبثّها لواعج الشّوق، ويطلق آهات اللّوعة إليها، وقد بادلته الشّوق، فيبكي دون انقطاع، مفصّلاً في ذكرها بأسمائها، كالزّاهي، والوحيد، والمبارك، على نحو يوحي بتحسّره عليها، كما بكت عليه هي بدورها، ويصوّرها وهي تبكي على فراقه وفراق أبنائه وأهله، كأنّما يجد في ذكرها لذّة تطفئ نار سجنه وعذاب حنينه، ويعمد إلى توظيف عنصر التّكرار من أجل تثبيت التّجربة وتركيزها، ومنحها عمقاً وشموليّة، هذا التّكرار الّذي يتبدّى بصورة واضحة في استخدام الفعل "بكى "في مواضع كثيرة من أبياته، ليؤسّس على هذه الحالة المؤسفة الّتي سيطرت عليه، وتمكّنت من ذاته وعقله على حدّ سواء.

---

١ ــ **ديوان ابن شهيد**، ص ٧٧.

٢ ــ **ديوان المعتمد بن عبّاد**، ص ٩٥. (يا سلام!!؟؟ ما ه÷ا النوع من الإحالة؟؟؟)

ونراه يستغلّ مرور بعض المناسبات الزمنيّة، كذكر الأعياد والمواسم ذات الوقع الخاص، لإحداث قفزة إلى الوراء، حيث العيد في قصوره له معنى آخر مغاير، أما الآن فهو في واقع مؤلم، حيث تمرّ الأعياد ذاتها، ولكنّه يرسف في أغلال القيود والحديد،، فيعلن المقارنة بين حالين في فترتين مختلفتين، ويفجرّهما شعراً فيقول: " من الطويل "

بكيتُ إلى سرب القطا إذ مررن بي ... سوارحَ، لا سجنٌ يعوق ولا كبلُ
ولم تك ــ والله المعيذ ــ حسادةً ... ولكن حنيناً أنَّ شكلي لها شكلُ
فأسرح، لا شملي صديع، ولا الحشا ... وجيع ولاعيناي يبكيهما ثكل
هنيئاً لها أنْ لم يُفرَّق جميعُها ... ولا ذاق منها البعدُ من أهلها أهلُ
وأن لم تبت مثلي تطير قلوبها ... إذا اهتزَّ باب السّجن أو صلصل القفلُ
لنفسي إلى لُقيا الحِمام تشوُّقٌ ... سواي يحبُّ العيش في ساقه حَجْلُ
ألا عصم الله القطا في فراخها ... فإنَّ فراخي خانها الماء والظّلُّ[١]

لقد أثار مشهد سرب القطا وهو يحلق في السماء لواعج الشّوق في نفس المعتمد، وهيّج مكامن فؤاده إلى ماض انقضى، وعزّ اندثر، وهو في أغمات بعيداً عن أهله ووطنه، فاستبدّ به الحنين، وطفق يبثّ الطير ما انطوت عليه جوانحه من نوازع الشّوق والحنين، وكأنّ المرء حين تحلّ به المصائب، يأنس بعالم الحيوان، ويجد فيه عزاء وسلوى، وهذا مادفعه إلى التّأمل في هذا المشهد أثناء مرورها أمام عينيه، فنراه يحنّ إلى حياة الحريّة والانطلاق التي ينعم بها هذا الطير دون أسر أو قيد يعوق حركته كما هو حاله، ولا فراق مؤلم قاس كما يعاني هو في غياهب السّجن المقيت، وابن عبّاد يرتقي إلى ذروة الشّعور الإنسانيّ النّبيل عندما يدعو ربّه لحماية تلك الطّيور، ويجنّب فراخها كلّ شرّ وأذى، لاكما فّرق الدّهر شمل أولاده، وأحاق بهم المصائب والويلات. إنّها مقطوعة تعجّ بألفاظ وتراكيب تغلب عليها سمة الحزن والأسى والحسرة، إلى أن يتوّجها بذكر لفظة "الحمام" بمعنى " الموت " وشوقه العارم للقائه، بينما غيره يحبّ العيش ذليلاً مقيّداً بالأغلال والقيود.

ونراه مرّة أخرى يستغلّ قدوم العيد، ليصوّر حاله وحال بناته، حين دخلن عليه السّجن، وكنّ يغزلن للنّاس بالأجرة في أغمات، ورآهن في أطمار بالية رثّة، وحالة سيّئة، فيقول: " من البسيط "

فيما مضى كنتُ بالأعياد مسرورا ... فساءك العيد في أغماتَ مأسُورا
ترى بناتِك في الأطمار جائعةً ... يغزلن للنّاس، لا يملكن قِطميرا

١ ــ **نفس المصدر**، ص ١١٠.

فراح يحن إلى ماضيه عاقداً مقارنة بينه وبين حاضره، حين أهانه الدهر، وأوقعه في الأسر، معتمداً على المقابلة، إلى أن يقول في خاتمة نصّه:

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا فردَّك الدَّهر منهيّا ومأمورا
من بات بعدَك في مُلكٍ يُسَرُّ به فإنّما بات بالأحلام مغرورا[1]

فيخبرنا أنّه صار عبرة لمن يعتبر من الملوك، صورة قاتمة لحياة ملك، إنّها مفارقة عجيبة لدهر لا يؤتمن، وأناس مقرّبين خانوه ونكثوا بعهده، فيقول أبياتاً عندما فقد من يؤنسه ويجالسه: " من الطويل "

تؤمُّل للنّفس الشجيّة فَرجةً وتأبى الخطوبُ السُّودُ إلّا تماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتها كذا صحبت قبل الملوك الليالي
نعيمٌ وبؤسٌ، ذا لذلك ناسخٌ وبعدهما نسخُ المنايا الأمانيا[2]

ويبدو التّقابل واضحاً بين زمنين " نعيم وبؤس"، عندما يحنّ إلى لياليه الصافية صفاء قصره الزّاهي، بل أصفى منه، والّتي صحبها كما صحبت الملوك اللّيالي من قبله، وهو يأمل فرجاً لنفسه الباكية، لكنّ المصائب المدلهمّة ترفض إلّا التّمادي في إيذائه وهلاكه.

وأهمّ ما يميّز شعر الحنين عند الشّاعر الوزير لسان الدّين بن الخطيب عقدة التّخلف عن ركب الحجيج، وزيارة الأماكن المقدّسة، أو ما يمكن أن نطلق عليه إشكالية الذنب، الغفران، ولعلّها أكبر إشكاليّة دينيّة كان يعاني منها الشّاعر، وتسبّب له توتّراً نفسيّاً حادّاً، لأنّه كان عاجزاً عن تحقيق هذه الغاية النبيلة، فأخذ يردّد في أشعاره مواجهة بين جماعة فازت بلقاء جوار النّبي المصطفى، وذات متكلّمة تخلّفت عن الرّكب، وقد اعتراها النّدم والحسرة في اعتراف منها بذنب وتقصير لازماها طوال العمر. إنّ شعره الدّيني استحضر كلّ معاني الحنين وصوره، وهي خاصيّة تميّز شعر التّصوف عامّة، وكان ينمّ دائماً عن وله صوفيّ بشخصيّة النّبي محمّد " ص "، ففيه تمجيد تامّ لشخصيّته ومقامه الكريم، توشّيه لوعة مريرة، وشوق دينيّ زاد في ضرامه البعد عن موطن الوحي، فغمر روحه بالكآبة، ويبدو أنه يئس من بلوغ الحمى المقدّس، فانطوى على نفسه في هدوء حزين، مكتفياً من ذلك الحمى الروحيّ بالنّسيم يهدهد ليلاً، وقد أرّقته الهموم، فيقول: " من الطويل "

إذا فاتني ظلُّ الحِمى ونعيمُه كفاني وحسبي أن يهبَّ نسيمُهُ
و لم أرَ شيئاً كالنّسيم إذا سرى شفى سُقْم القلبِ المشُوق نسيمُهُ

---

١ ــ **المصدر نفسه**، ص ١٠٠.

٢ ــ **ديوان المعتمد**، ص ١١٧.

نعلِّـــل بالتّـــذكار نفوســـاً مشـــوقةً ... يـــدير عليهـــا كأسُـــه ويديمُـــهُ
بـــرانيَ شـــوقٌ للـــنّبيّ محمَّـــدٍ ... يســـوم فـــؤادي برْحُـــه مـــا يســـومُهُ
مشـــوقٌ إذا مـــا اللّيـــل مـــدّ رواقَـــه ... تُهُـــمُّ بـــه تحـــت الظّـــلام همومُـــهُ[١]

يستخدم الشّاعر أسلوب الشّرط غير الجازم في مستهلّ أبياته للدّلالة على الزّمن الماضي، وأهميّته في الدّلالة على ندمه لعجزه عن تحقيق غايته في بلوغ الدّيار المقدّسة، فمضيّ الزّمان وانقضاؤه يعني له الاكتفاء بفيء هذه الدّيار، وهبوب النّسيم العابر منها، هذا النّسيم إذا ما تمّ له الهبوب كان الشّافي لعلّة الفؤاد المتيّم شوقاً لزيارتها، فلم يبق إلّا أن تلهج ألسنتنا بذكرها، وتمنّي النّفس باستحضارها في الزّمان والمكان، إنّ الشّوق والوله لزيارة الضّريح المقدّس أضعف الشّاعر وأصابه بالهزال، ألم ومشقّة وهمّ، حالات نفسيّة قصدت نفس الشّاعر وأحاقت بها.

إنّ لسانه يلهج بالحبّ النّبويّ الّذي غدا ملاذ روحه الهلوع، وملجأ أميناً لنفسه المتعبة، يتفجّع ويندب نفسه، ويتلهّف ويتحسّر على ما لم يحقّقه، فبقي الشّوق كامناً في ضلوعه، وقد اعترى النّحول جسده، فيقول: " من الطويل "

إذا أنـــا لم أوثـــرْ هـــواي علـــى عزمـــي ... فنفسيَ في طـــوعي وأمـــريَ في حُكمـــي
وإن أنـــا أرجـــأْتُ الأمـــور إلى غـــدٍ ... طعنتُ بغـــرب العجـــز في ثُغْـــرَة الحـــزمِ
وإنّ أحـــقّ النّـــاس بـــاللّوم لامـــرؤٌ ... يضلُّ طريق الرُّشـــد وهـــو علـــى علـــمِ
كتمـــت اشـــتياقي، والنُّحـــول يـــنمُّ بي ... كأنّي أحلت الكتْم منّي علـــى جســـمي[٢]

تطغى الذّات الفرديّة العاجزة النّادمة على البيتين الأوّل والثّاني من هذه المقطوعة، بذكر الضّمير المتكلّم " أنا"، هذه الذّات الّتي وصلت إلى حالة من اليأس، لتفضيلها الهوى على التّصميم والعزم، وإرجاء الأمر إلى الغد، ما يؤكّد حالة التّواكل والانكسار والتردّد في اتّخاذ القرار، إنّه يستحقّ اللّوم ويقرّ بذلك لأنّه ضلّ طريق الرّشد والهدى، وهو على علم بذلك، فيحمّل ذاته مسؤوليّة العجز عن العزم لزيارة الدّيار المقدّسة، لقد كتم الشّاعر اشتياقه فنتج عن ذلك تحوّل أصاب جسده بالهزال الظّاهر والنّحول البيّن، همّ نفسيّ أعقبه مرض جسديّ.

إنّه دوماً يغبط أولئك الزّائرين، فيصف الرّكب الميمّم وجهه شطر الحجاز، وهم يحثّون السّير ليلاً، ظلامه عسكر زنج، ونجومه نصول رماح، تحمل بعضهم ظهور المطايا، ونفوسهم ملأى بالعزيمة والجدّ،

١ ـــ ديوان لسان الدّين بن الخطيب، المجلد الثاني، ص ٥٤٩.

٢ ـــ ديوان ابن الخطيب، المجلد الثاني، ص ٥٢٩.

فراح شاعرنا يتوجّع أسفاً على رحيله دونه، وهو ناكس الطّرف، ثقيل الخطا، مكسور الجناح، شوقه إلى ديار الحجاز عارم، لكنّه يبدي الأسف والنّدم والعجز عن التّحقيق، فيقول: " من الخفيف "

ورِكـــابٍ ســـرَوا وقـــد شمِـــل اللّـــــ ـــيل، بمسح الـــدُّجى، جميـــعَ النّـــواحي
وكـــــأنَّ الظّـــــلام عســـــكرُ زنـــــجٍ ونجـــــومُ الـــــدُّجى نصـــــولُ الرِّمـــــاحِ
حملَـــــتْ منـــــهم ظهـــــورَ المطايـــــا أيَّ جِـــــدٍّ بَحْـــــتٍ، وعـــــزمٍ صُـــــرَاحِ
خلَّفـــوني مـــن بعـــدهم نـــاكسَ الطَّـــرْ ف، ثقيـــل الخُطـــا، مهيضـــاً جنـــاحي[١]

ودائماً تتردّد المواجهة في هذه القصائد بين ضمير الجماعة " سروا، خلّفوني"، وضمير الذات المتكلّمة المتخلّفة عن الرّكب. إنّه صراع داخليّ بين واقعه الّذي دفعه إلى السّياسة والسّلطة الّتي لا تدوم، وبين واجبه الدّيني الّذي لو اختاره لنعم بحياة هادئة مستكينة لا غدر فيها ولا تآمر ولا حسد.

وفي ختام قصيدة أخرى يظهر أسفه المأساويّ، ويعترف بذنوبه وتقصيره في ندم مريع، ويتوجّه بخطاب إلى الرّسول" ص" في خشوع وضراعة وتوسّل، ممعناً في تعذيب نفسه، فيقول: " من البسيط "

إنّـــي أتيتُـــك فـــاقبلني وخـــذْ بيـــدي ومـــن لهيـــب لَظَـــى جِرْنـــي وســـجِّينِ
وقد مـــدحتك فـــارحمني وجُـــدْ فعســـى من هول يـــوم اللّقـــا والحشـــر تنجـــيني
وكـــن شـــفيعي في النـــار يـــا أملـــي لعـــلَّ أحظـــى بـــأجرٍ غـــير ممنـــونِ[٢]

فهو لا يبغي من مديحه كسباً ماديّاً، حيث توسّلاته وتضرّعاته المعبّر عنها بالأفعال " أتيتك، فاقبلني، خذ بيدي، جد، تنجيني " تشكّل معجماً شعريّاً خاصّاً تتوقّف دلالاته عند الرّحمة والنّجاة في الدّار الآخرة، مقابل " اللّهيب، الهول، النّار"، الّتي تؤلّف عائقاً حسيّاً أمام المأمول في الدّار الآخرة الخالدة، إذ يقترب من ألفاظ دينيّة صوفيّة معبّرة عن خشوعه وتوسّله الصادق، وتراه يكثر منها في البيت الأخير من هذه المقطوعة ليقتفي الأثر ذاته في سابقه.

١ ــ المصدر نفسه، المجلد الأول، ص ٢٥٢.

٢ ــ ديوان ابن الخطيب، المجلد الثاني، ص ٦١٢، سجين: اسم من أسماء جهنم، انظر لسان العرب، مادة " سجن "، المجلد الثالث عشر، ص ٢٠٣.

نتائج البحث:

بعد عرض عديد من أشعار الحنين في شعر الملوك والقادة ظهر لنا أنّها أفرزت تجارب متنوّعة اكتسبت الكثير من العمق والإيحاء من التّجربة الإنسانيّة، شكّل فيها الماضي رمزاً على المستوى المكانيّ الوجوديّ هو رمز النّعيم والجنّة الّتي ولّت، أمّا على المستوى الدّينيّ، فكان الماضي رمز النّدم والخطيئة والوزر كما تجلّى عند بعضهم. فالحنين ارتبط لدى شعرائنا بالزّمن ارتباطاً قويّاً، باعتباره قوّة تنهي كلّ التّجارب والآمال البشريّة، وهذا ما عمّق إحساسهم الفاجع بالزّمن الّذي ولّى وانقضى، وكان شعراً مشحوناً بأكبر قدر من الطّاقة الشعريّة، وصف فيه الشّعراء معاناتهم وأشواقهم، وانتقلوا إلى التفّجع والاستغاثة والنّداء، وظّفوا فيه أساليب متنوّعة لتعميق تجاربهم الّتي ارتبطت بالمعنى النّفسيّ لديهم. وقد برزت بنية التّعارضات بين الشّاعر /الرّسول، الشّباب/ الشيخوخة في قصيدة الحنين على شكل ثنائيّات وظّفت من أجل إبراز تلك البنية الكبرى في بنية التّوتّر بين الإنسان /الزّمن، وعملت على توليد المفارقة وتنميتها في تجاربهم، وكانت إحدى المكوّنات المهمّة للإقناع والتّأثير في المتلقّي. وكان أهم ما ارتكز عليه البحث هو استخلاص ما اتّسمت به هذه التّجربة من شكوى الغربة وحكاية اللّواعج عند افتقاد الأليف أو الجماعة أو المكان، ومن أجل تحقيق التّواصل في المتخيّل، كان يعمد شعراؤنا إلى خلق الواسطة بين الماضي والحاضر، لاستحضار صورة من الزّمن الماضي الجميل، فكان حنينهم إلى ذلك الماضي على مستوى الزّمان والمكان، فيه تفجّع وتحسّر ممتزج بالرّجاء أحياناً، وباليأس أحياناً أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

١ ــ الثّالث، يوسف. أبو الحجاج يوسف. **ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث**. تحقيق وتقديم ووضع فهارس عبد الله كنون، الطبعة الأولى، تطوان: ١٩٥٨م.

٢ــ ابن الخطيب، لسان الدّين. **ديوان لسان الدّين بن الخطيب السلمانيّ**. صنع وتحقيق وتقديم الدّكتور محمّد مفتاح، الطبعة الأولى، المملكة المغربيّة: دار الثقافة، الدّار البيضاء، ١٩٨٩م.

٣ ــ ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله. **ديوان ابن زيدون**. شرح وتحقيق كرم البستانيّ. د ط، بيروت: دار بيروت للطّباعة والنّشر، ١٩٨٤م.

٤ ــ ابن شهيد، أبو عامر. **ديوان ابن شهيد الأندلسيّ**. عني بجمعه تشارلز بيلّات، الطبعة الأولى، بيروت: دار المكشوف، ١٩٦٣م.

٥ ــ ابن عبّاد، المعتمد. **ديوان المعتمد بن عبّاد ملك إشبيليّة**. جمع وتحقيق: د. حامد عبد المجيد، د. أحمد أحمد بدوي. راجعه الّدكتور طه حسين، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الكتب المصريّة، ٢٠٠٠م.

٦ ــ ابن فركون، أبو الحسين بن أحمد. **ديوان ابن فركون**. تقديم وتعليق: محمد بن شريفة، الطبعة الأولى، المملكة المغربيّة: مطبوعات أكاديميّة ، ١٩٨٧م.

٧ ــ القرطاجنّي، حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحــ: محمد الحبيب بلخوجة، الطبعة الثانية، بيروت: ١٩٨١م.

٨ــ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقيّ المصريّ، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٤١٢ه،١٩٩٢م.

اشتیاق به وطن درشعرپادشاهان، فرماندهان و وزرای اندلس

دکتر عیسی فارس* و طلال علی دیوب**

چکیده:

اشتیاق به وطن یک کشش فطری بشری است که شامل همه ی عصرها وزمان ها می شود و بیانگر تمایل درونی و صادقانه به دیدار از سرزمین مادری شاعر است که در آن پرورش یافته ولی حوادث زندگی او را به دورشدن از آن مجبور ساخته است.

در شعر پادشاهان و فرماندهان‌اندلس این‌حالت به‌برخی‌ازشرایط‌سیاسی،شخصی و اجتماعی ارتباط دارد که احساس غم‌واندوه وپشیمانی بر از دست دادن عزت همراه با سروری و سلطنت را نزد آنها عمق بخشیده و اشتیاق آنها به زندگی آرام، مرفه و پرنعمت را بروز داده است.

این مقاله به بررسی شعرهای پادشاهان و فرماندهانی می پردازد که در رابطه با شوق وطن شعر سروده اند. آن را در پرتو حالت های روانی، اجتماعی و شخصی مورد مطالعه قرارمی دهد، همان حالاتی که عواطف درونی واحساسات لطیف را نزد گروهی از این شعراء برانگیخت که دو بعد متناقض از زندگی خویش را در خلال شوق وطن به تصویر کشیده اند: بعد گذشته ی تابناک و زیبا، و بعد زمان کنونی دردناک ماتم زده . آنها در أثنای برخی شرایط سخت که در زندگی پیش آمده بود نعمت ارتباط با خانواده و خویشاوندان و دیارشان را ازدست دادند. عواطفشان را که صادقانه از اعماق قلبشان می جوشید زیرگام های شرایط سخت زندگی به شکل آه و ناله های آتشین بروز می دادند.

قصیده‌ی شوق وطن نزد شاعرانی که پادشاه و فرمانده بودند همانطور که در اشعار برگزیده به آنها اشاره خواهیم کرد با زمان گذشته ای درارتباط است که بر تمام قصایی شوق وطن بشری غلبه دارد. و این برخلاف شوق دینی شاعر معروف وزیر لسان الدین خطیب است که زمان های گذشته وآینده را درهم ادغام کرده است.

کلید واژه ها: شوق وطن ،پادشاهان، فرماندهان، وزراء، زمان، نعمت، پشیمانی

---

* - دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تشرین، لاذقیه، سوریه.

** - دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تشرین، لاذقیه، سوریه.

تاریخ دریافت: 1391/11/18هش= 2013/02/06م تاریخ پذیرش:1392/04/01هش = 2013/06/22م

Nostalgia in the Poetry of the Kings and Leaders in Andalusia

Aissa Faris[*], Tallal Ali Deyoub[**]

Abstract:

Nostalgia is a tendency of conscience include humanitarian all ages and at all times. It is an expression of sincere desire of poet to see the motherland where he was established, and where requirements of life forced him to abandon it.

Associated poems of the kings and leaders in Andalusia set in political circumstances and social self, deepened their sense of sorrow and regret for the loss of splendor, combined with sovereignty and power, and activated nostalgic feelings for the anticipated return, to convenience, luxury life and the grace.

This study investigates the poems which kings and leaders sang in nostalgia, and handles them in the light of the psychological, social conditions and self-raised these emotional feelings It also deals with delicate sensations in the class of these poets who expressed through nostalgia two contradictory elements oin the elegance of the past.

Under some extreme conditions that have occurred in their lives, they missed the grace of communication with their parents, relatives, and their places, and their emotions began flowing honestly from their depths, puffing it in an exhale under the difficult conditions in which they live.

Nostalia for the Homeland includes nostalgic poems of kings and leaders, as we will see in their selected poems. Unlike religious poems, nostalgia in the poems of poet Minister Lisan Din Ibn al-Khatib merges the past and the future.

Key words: nostalgia, kings, leaders, time, grace, regret

[*]- Associate Professor, Tishrin University, Syria.

[**]- Ph.D. Student, Tishrin University, Syria.